مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

أهداف المركز الرئيسية:

١ ـ إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.
٢ ـ الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
٣ ـ بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
٤ ـ إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

بيريز مجرم الحرب وحرباء السّلام

مدخل:

كان شمعون بيريز، الذي توفيّ في ٢٨ أيلول ٢٠١٦، أحد أهمّ الرّموز السّياسيّة في إسرائيل منذ نشأتها عام ١٩٤٨. وكان أحد أبرز التلامذة الأوائل لدافيد بن غوريون، أوّل رئيس حكومة صهيوني في الكيان الغاصب. وهذا ما جعله يُعَيّن في عمرٍ صغيرٍ جدّاً (٢٩ عاماً) مديراً عامّاً لوزارة الدفاع الإسرائيليّة، وقد عمل أثناء تولّيه هذا المنصب على تفعيل تجارة السّلاح بين إسرائيل وفرنسا وتطويرها، كما ساعد في إنشاء مفاعل ديمونا النووي. وإذا كانت الرقابة العسكريّة الإسرائيليّة تمنع الصحافيين من تأكيد وجود هذا المفاعل فإن "مصادر أجنبيّة" (وتسريبات من البريد الإلكتروني الخاص بوزير الخارجيّة الأميركي الأسبق كولين باول) تقول إنّ السلاح النووي ظهر في الشرق الأوسط لأوّل مرّة في ديمونا .

بينما كان بيريز في وزارة الدفاع، أدّت إسرائيل دوراً قياديّاً في الحملة على سيناء عام ١٩٥٦، وقد إستغلّ الرجل إرتباطاته مع الفرنسيين لوضع إسرائيل في موضع الدولة التّابعة للدول الأوروبيّة الكبرى والدخول في حرب كانت أهدافها الأساسيّة فرض السيطرة الإسرائيليّة على شبه جزيرة سيناء، وإنتزاع السيطرة على قناة السويس من المصريين وإعادتها للفرنسيين والبريطانيين، وإضعاف القوى المُناهضة للإستعمار في المنطقة. في ذلك الوقت أجبرت الولايات المتّحدة وروسيا (القوّتان العظميان الصاعدتان) إسرائيل على الإنسحاب نهائيّاً من سيناء لكنّ الرسالة للجيران كانت واضحة: نحن مع الآخرين، نحن مع الأوروبيين.

على عكس الإنطباع المُهيمن، كان لبيريز دور تأسيسي في تعبيد الطريق لحركة "غوش ايمونيم" الدينيّة المُتطرّفة منتصف السبعينيات في إطلاق الموجات الإستيطانيّة في الضّفّة الغربيّة للمرّة الأولى منذ إحتلالها عام ١٩٦٧، والتي تتواصل حتى الآن، وهو ما دفع "مجلس المستوطنات" في الضّفّة المحتلّة إلى تأبينه، مذكّراً بالدور الذي لعبه في هذا المجال حينما كان وزيراً للأمن عام ١٩٧٤. ولفت بيان "مجلس المستوطنات" الذي نشره موقع إذاعة المستوطنين "عروتس شيفع/ القناة السابعة"، إلى أن بيريز تحدّى حينذاك رئيس

الحكومة إسحاق رابين، ومعظم الوزراء الذين أبدوا إعتراضهم على بناء المستوطنات في تلك المرحلة، وأصرّ على "إطلاق المشروع الإستيطاني في أرض إسرائيل". مع ذلك، إعتبرت أنظمة "الإعتدال العربي" نفسها أنّها فقدت أهمّ شريك وحليف لها، فيما فقد كيان العدو في الواقع شخصيّة قياديّة تختصر حياتها السّياسيّة تاريخها السّياسي والعسكري والإستيطاني الإجرامي.

كان لبيريز موقعه ودوره في كل محطّة ومُنعطف تاريخي مرّت به إسرائيل، بدءاً من الأيّام الأولى للدّولة، مروراً بالحروب العسكريّة التي خاضتها، ومخطّط التسوية الذي نجحت في تمرير مراحل مهمّة منه. لذلك لا عجب في أن يختم حياته السّياسيّة بمكافأة تولّي منصب رئاسة الدولة، بعد سلسلة طويلة من الهزائم الإنتخابيّة، إلى درجة عُرف عنه أنّه "المرشّح الخاسر"، في الوقت الذي كان فيه إستراتيجيّاً "بارزاً" ترك بصمات صاخبة في السّياسة الخارجيّة والأمنيّة والإستراتيجيّة لدولة العدو.

إذا كان إسم أرييل شارون قد إقترن بمجازر صبرا وشاتيلا، وغيرها الكثير من مثيلاتها في فلسطين المحتلّة، وحمل لقب "آخر ملوك إسرائيل"، فإن إسم شمعون بيريز إقترن بعدّة ألقاب، منها "جزّار قانا" و"الأخير من جيل المؤسّسين". كذلك رأى فيه زعماء "الإعتدال العربي" شريكاً أساسياً في عملية التّسوية التي أنتجت إتّفاقية "أوسلو"، وبذلك إستحقّ بلا مُنازع لقب "مبيّض" صفحة إسرائيل السوداء. وفي سياق المهمّة التي انتُدب لها لترسيخ الإحتلال وشرعنته، حارب على الوعي وكيّ الوعي والإستيلاء عليه. وما لم ينجح العدو في إنتزاعه عسكرياً، عمل بيريز على إنتزاعه سياسياً، تحت مُسمّى "الشرق الأوسط الجديد."

حياته الشخصيّة والعمليّة:

ولد بيريز في بولندا يوم الثاني من آب عام ١٩٢٣، لأبٍ يعمل تاجراً للأخشاب، وإسمه الأصلي زيمون بيرسكي. لم يكن والدا بيريز يهوديّان مُتشدّدان، لكنّه درس التلمود في صغره على يد جده، وأصبح ملتزماً دينيّاً. في عام ١٩٣٤، إنتقلت الأسرة إلى فلسطين، التي كانت تحت الإنتداب البريطاني آنذاك، لتلحق بالأب الذي كان قد هاجر قبل عامين، وإستقرّت في تل أبيب. وتخرّج من مدرسة الزراعة، وعمل في المعسكرات الزراعيّة (الكيبوتس)، ثم إنخرط في العمل السياسي وكان في سن ١٨ عاماً عند إنتخابه سكرتيراً للحركة العماليّة الصهيونيّة.

لقد شغل بيريز تقريباً كل المناصب العامّة، بما فيها مناصب رئيس الوزراء، ورئيس الدولة، رغم أنّه لم يقد أي حزب للفوز في أيّ إنتخابات حتى لقِّب بالمنحوس. ففي عام ١٩٤٧، عيّنه رئيس الوزراء المؤسّس لكيان العدو، دافيد بن غوريون، في منصب المسؤوليّة عن الأفراد وصفقات الأسلحة لصالح الميليشيات الصهيونيّة الإرهابيّة التي عُرفت باسم "الهاغاناه"، التي شكّلت فيما بعد نواة الجيش الإسرائيلي. وتحمّل بيريس المسؤوليّة عن تنفيذ الكثير من الهجمات الإجراميّة ضدّ المدنيين الفلسطينيين خلال فترة الإنتداب البريطاني قبل عام ١٩٤٨، وقد أولي عدّة مهمّات خاصّة، ولاسيّما في مجال تشكيل القوّة البشريّة، والمقتنيات العسكريّة ، والبحوث الأمنيّة .

إنتُخب بيريز عضواً في البرلمان الإسرائيلي (الكنيسيت) عام ١٩٥٩، عن حزب "ماباي" (حزب عمّال إسرائيل)، الذي إنبثقت عنه الحركة العُماليّة الحديثة في إسرائيل تحت إسم حزب العمل "عفودا". وعُيّن آنذاك نائباً لوزير الدفاع، ثمّ إستقال لاحقاً عام ١٩٦٥ بعد الإشارة إليه في سياق تحقيق أُعيد فتحه في عمليّة "سوزانا" أو فضيحة لافون وزير الحرب آنذاك، وهي خطّة إسرائيليّة لتفجير أهداف بريطانيّة وأمريكيّة في مصر عبد الناصر عام ١٩٥٤ في محاولة للإساءة إلى العلاقات البريطانيّة المصريّة وألتأثير على بريطانيا لعدم سحب قوّاتها من سيناء .

قاد بيريز منذ الستّينيات عمليّة تهويد الجليل والنقب، وطرد الفلسطينيين من أراضيهم. وعمل على إصدار قوانين تُتيح هدم بيوتهم أو الإستيلاء على مُمتلكاتهم بذريعة قربها من "منشآت عسكريّة إسرائيليّة". وطوال

عقود، شجّع على إنتقال الإسرائيليين إلى الجليل، للوقوف في وجه ما وصفه "بالتهديد الديموغرافي" الفلسطيني .

عمل بيريز وزيراً مساعداً في الحكومات التي أُلّفت بعد حرب عام ١٩٦٧، وهي التي أطلقت مشاريع الإستيطان المُستمرّة إلى اليوم والتي تقوم على سرقة الأراضي المُحتلّة وقمع سكّانها. تعرف الحكومة الإسرائيلية منذ البداية أنّها تخرق القانون الدولي منذ اليوم الأوّل، لكنّ المستوطنات في الضّفّة الغربيّة وغزّة وسيناء كانت تُقدَّم في البداية على أنّها إمتداد لحركة الإستيطان التي أسّست عشرات الكيبوتسات في ثلاثينيات وأربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. وهو خلال تولّيه وزراة الدفاع بين عامي ١٩٧٤ و١٩٧٧ شجّع على الإستطيان في الضّفّة الغربيّة، وعمل على رفض أي قيود أو حواجز توضع في وجه بناء المستوطنات. وقد أعلن أكثر من مرّة عن دعمه الكامل لحصار قطاع غزة، وللعمليّات العسكريّة الإسرائيليّة فيه. في العام ٢٠٠٩، أعلن عن دعمه للحرب على القطاع، لأنها ستشكّل، حسب قوله، "ضربة قويّة لأهل غزّة لكي يفقدوا شهيّتهم على إطلاق النار على إسرائيل". وفي عامي ٢٠١٢ و٢٠١٤، قاد حملة عالميّة لتلميع جرائم الإحتلال في القطاع والدفاع عنها، حتى أنّه لام المدنيين الفلسطيين، بأسلوبه المُراوغ، على المجازر المُرتكَبة بحقّهم، قائلاً : "إنّه كان يجب عليهم أن يغادورا المنطقة التي يعرفون أنها ستُستَهدّف بالقصف."

بعد إستقالة رئيسة الوزراء الإسرائيليّة، غولدا مائير، عام ١٩٧٤ إثر حرب السادس من تشرين الأول ١٩٧٣، تنافس كلٌّ من بيريز وإسحق رابين في الإنتخابات، التي إنتهت بفوز رابين بمنصب رئيس الوزراء. إلا أنّ رابين ما لبث أن إستقال من منصبه كقائد لحزب التحالف (معراخ) عام ١٩٧٧، بعد فضيحة ماليّة لحقت بزوجته. لكن ثغرة في الدستور الإسرائيلي سمحت له بعدم الإستقالة من منصب رئيس الوزراء. وأصبح بيريز بالتالي زعيماً للحزب ورئيساً للوزراء بشكلٍ غير رسمي، ثم قاد التحالف في العام نفسه إلى هزيمة في الإنتخابات أمام حزب الليكود بقيادة مناحيم بيغن.

في عام ١٩٧٥ كان بيريز هو من أعطى الدّعم الحكومي لأولى عمليّات منظمة "شباب التلة" (وهي جماعة يهوديّة متطرّفة تعتبر أن وجود غير اليهود على "أرض إسرائيل" مخالَفة دينيّة يجب تصحيحها، وهي تعتدي على الفلسطينيين وكان آخر إعتداءاتها حرق عائلة دوابشة في قرية دوما بنابلس العام الماضي). كما كان هو من دعم بحماسة إنشاء مستوطنة كدوميم وحركة غوش إمونيم (حركة دينيّة ترى أن الإستيطان الكثيف هو الوسيلة لتحقيق أهداف الصهيونيّة)، اللتين وصفهما رابين بحصان طروادة للمستوطنين. وكوزير للأمن سعى بيريز للمحافظة على زخم حركة الإستيطان، كما عارض مبدأ إعادة الأراضي في الضّفّة الغربيّة، الذي كان يشكّل جزءاً من إتّفاق السلام مع الأردن. اليوم صار "شباب التلة"، أو كما يُسمّون "زعران التلال" أكثر المستوطنين عنفاً في الضّفّة الغربيّة.

تلك كانت أيضاً السنوات التي راح بيريز يعمل فيها على ترويج بيع السلاح للعديد من الدول حول العالم. وقد أظهر تحقيق إستقصائي قامت به صحيفة الغارديان البريطانيّة (عام ٢٠١٠) وثائق تشير إلى أنّه ساعد في بيع رؤوس نوويّة لجنوب أفريقيا إبّان حكم نظام الأبرتهايد، بالرغم من نفي مكتبه ذلك. وبعد عشرات السنين ظلّ تجّار السّلاح من بين أعزّ أصحابه ولطالما أنفقوا على حفلاته الباذخة.

بُعيد إنتخابه رئيساً لـ"حكومة الوحدة الوطنيّة" عام ١٩٨٥، قدّم بيريز بصحبة إسحق موداعي من حزب الليكود أكبر خطّة لخصخصة الأصول المملوكة للدولة في تاريخ إسرائيل، وترافقت الخطوات التي إتّخذاها لتقليص ديون الدولة وإنفاقاتها بتخلّيهما جوهريّاً عن فكرة دولة الرعاية الإجتماعيّة، واضعين أسس السياسات الإقتصاديّة النيوليبراليّة التي أصبحت تُوجّه السياسة الإسرائيليّة منذ ذلك الحين. هكذا إستقى رئيس الحكومة خطّته الإقتصاديّة، التي أراد بها معالجة الأزمة المُتفاقمة التي خلقتها حكومة الليكود، من المدارس الإقتصاديّة الرأسماليّة بدل إستقائها من الفكر الإقتصادي الإشتراكي الذي يزعم حزب العمل إنتهاجه.

عام ١٩٨٤، أثناء رئاسته الأولى والقصيرة للحكومة، حاول بيريز أن يغطّي جريمة قتل الخاطفين الفلسطينيين في قضية الباص رقم ٣٠٠، الذين ضُربوا حتى الموت أثناء التحقيق معهم بعد أن صوّروا وهم أحياء أثناء توقيفهم. وقد شكّلت تلك القضيّة إحدى أكبر الفضائح الإسرائيليّة، لكن بيريز ما لبث أن ساعد لاحقاً في إيجاد أعذار للمحقّقين الإسرائيليين الذين قتلوا الأسرى الفلسطينيين، بينما رفض إعطاء مثل هذه الأعذار لموردخاي فعنونو الذي أظهر للعالم عبر تسريباته، القليل ممّا كان يحصل في ديمونا. بيريز في الحقيقة هو الذي أعطى أوامره للموساد باختطاف العالِم النووي الإسرائيلي المُعارض فعنونو في أوروبا وإحضاره إلى إسرائيل التي حكم عليه فيها بالسجن ١٨ عاماً بعد محاكمة سرّية.

في الشأن اللبناني كان لبيريز أدوار ظاهرة في الثمانينيات، ففي عهده كرئيس لحكومة الوحدة في العام ١٩٨٥، قرّر إخراج الجيش الإسرائيلي من أغلب الأراضي اللبنانيّة المحتلّة، عدا ما عُرف بـ «الحزام الأمني». وكان بيريس من بين مُبدعي فكرة «الجدار الطيّب» التي مهّدت للعلاقات مع القوات اللبنانيّة.

إشتهر بيريز في الحلبة الداخليّة بالتآمر، وهذا ما جلب له الكثير من الإنتقادات. وكانت أبرز مؤامراته ما عُرف بـ "المناورة النتنة"، حيث حاول إسقاط حكومة الوحدة مع إسحق شامير بذريعة إنشاء "حكومة السلام" مع الحريديم. وما لبث أن عاد إلى الواجهة بعد مصالحات أجراها مع إسحق رابين، وإبرام إتّفاقيّات أوسلو مع منظّمة التحرير في العام ١٩٩٣. وبعد ثلاثة أشهر من التوقيع على إتّفاقيّات "أوسلو"، رتّب بيريز مع الملك الأردني، حسين، مسودّة معاهدة الصلح مع الأردن التي عُرفت بإتّفاقيّة وادي عربة. وبعد فوزه بجائزة السلام وإغتيال رئيس الحكومة الإسرائيليّة إسحق رابين على يد متطرّف يميني في تل أبيب، ترأّس لفترة وجيزة الحكومة الإسرائيليّة. وكانت أولى خطواته شنّ حرب على لبنان في تموز العام ١٩٩٦، عُرفت بحرب "عناقيد الغضب" حين حصلت مجزرة قانا التي إستهدفت مدنيين وأطفالاً في حماية القوات الدوليّة. وخسر بيريز بعدها الإنتخابات لمصلحة بنيامين نتنياهو، ما قاد إلى إعترافه علناً بأنه "الخاسر"، لأنّه فعليّاً لم يُفلح قطّ في قيادة حزبه إلى تحقيق أيّ إنتصار إنتخابي. في المُقابل وفّرت المكانة الدوليّة لبيريز، تعويضاً جدّيّاً عن خساراته الإنتخابيّة المُتكررة. وعلى الرغم من أنّ مكانته نبعت أساساً من كراهية العالم لخصمه المحلّي، بنيامين نتنياهو، إلا أنّ الكثيرين من قادة العالم رأوا فيه، من دون وجه حق، "رجل سلام". أكثر بيريز في أواخر حياته من الإقرار بأنه بدأ حياته متطرّفاً كبن غوريون، ولكنّه إنتهى "مُعتدلاً"، على حدّ زعمه، مثل موشيه شاريت. وقال مراراً إنّه ليس هو الذي تغيّر وإنّما العالم من حوله، ويرى معلّقون أن بيريس كان يجمع في داخله كثيراً من التناقضات.

مُنِيَ بيريز بخمس هزائم إنتخابيّة أخرى، إنتهت كلّها بحصوله على منصب وزاري كجزء من حكومة إئتلافيّة. وفي عام ١٩٩٢، فشل في الفوز بقيادة حزب العمل الإسرائيلي، بعد هزيمته أمام رابين في المراحل المُبكرة من الإنتخابات الحزبيّة. وأثناء عمله كوزير للخارجيّة في حكومة رابين، بدأ مفاوضات سرّيّة مع الرئيس الفلسطيني السابق، ياسر عرفات، ومنظّمة التحرير الفلسطينية، التي إنتهت بعقد إتّفاقيّة أوسلو عام ١٩٩٣. ولأوّل مرّة، إعترفت القيادة الفلسطينية رسميّاً بوجود إسرائيل. وبعد عام من أوسلو، حصل بيريز على جائزة نوبل للسّلام، بالشراكة مع عرفات ورابين. ومن ثم تحوّل بيريز، الذي كان مُدافعاً عن تأسيس المستوطنات اليهوديّة في الضّفّة الغربيّة المحتلّة، إلى داعية مزعوم للسلام.

كان بيريز رئيسا للحكومة، إثر إغتيال إسحاق رابين عام ١٩٩٥، حين وقعت مجزرة قانا الأولى في جنوب لبنان عام ١٩٩٦ ضمن عملية "عناقيد الغضب" العدوانيّة التي إستشهد فيها ١٠٦ من المدنيين الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ إحتموا بمركز للأمم المتّحدة . لكنه لم يُكمل عاماً واحداً في منصبه بعد هزيمته أمام بنيامين نتنياهو، زعيم حزب الليكود.

في عام ٢٠٠٠، فشل بيريز بالفوز بمنصب رئيس البلاد، وهو منصب شرفي، أمام موشيه كاتساف. وفي عام ٢٠٠٢، بعد هزيمة إيهود باراك، الذي خلف بيريز في قيادة حزب العمل، أمام آريل شارون في إنتخابات

رئاسة الوزراء، قاد بيريز حزب العمل إلى التحالف مع الليكود، وفاز بمنصب وزير الخارجيّة، وتمكّن بالتالي من تكوين "شبكة حماية" للمجرم شارون في الكنيست، ليتمكّن من تنفيذ خطّة الإنسحاب من غزّة وأجزاء من الضّفّة الغربيّة، في مواجهة معارضة من حزب الليكود نفسه. شارك بيريز شارون حملة القمع والتنكيل والمذابح التي مورست ضد الفلسطينيين في إنتفاضة الأقصى، كما أنّه متورط أيضاً في مذبحة مخيّم جنين ومجزرة حي الياسمينة في القصبة بمدينة نابلس القديمة، وباقي عمليّات الإغتيال والقصف التدميري في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة.

لم تظهر أيّ علامات "إيجابيّة" في مسيرة بيريز السّياسيّة وكانت إتّفاقيّة أوسلو التي يتحمّل مسؤوليّتها المطلقة، كارثة على الشعب الفلسطيني. لقد تمكّن بيريز من جعل إسرائيل تتخلّص من مسؤوليّتها عن شؤون الفلسطينيين الإجتماعيّة وهموم حياتهم اليوميّة عبر إنشاء السلطة الفلسطينية من دون إنهاء الإحتلال. هكذا، أُوكلت للسلطة الفلسطينية جميع المسؤوليّات الإجتماعيّة دون إعطائها قدرة العمل بشكلٍ مستقلٍ عن إسرائيل التي ظلّت تتحكّم بأغلب جوانب الحياة في الأراضي المحتلّة. حافظت الإتّفاقيّة على السيطرة المُطلقة للإسرائيليين على الأراضي الواقعة غرب نهر الأردن، ورافق هذه السيطرة تحكّم عسكري بالموارد الطبيعيّة (الماء مثلاً). وفي الوقت نفسه، أدّت الإتّفاقيّة إلى نشوء طبقة مكوّنة من أشخاص يسعون لمصالحهم الشخصيّة (من بيروقراطيي السلطة الفلسطينية إلى رجال الأعمال والمتعهّدين، إعتمدوا كليّاً على عطايا إسرائيل، وهذا مجرّد رأس جبل الجليد من الفساد المُستشري.(

بعد إغتيال رابين، كان باستطاعة بيريز أن يستفيد من حالة الغضب والصدمة في دفع عملية السّلام جدّياً، لكنّه إختار قبل الإنتخابات بشهرٍ واحد، بهدف تلميع صورته العسكريّة الضعيفة، أن يُطلق حملة عسكريّة مدمّرة في لبنان تحت إسم "عناقيد الغضب" أدّت إلى إستشهاد ١١٣ مدنيّاً لبنانيّاً، و٢١ من مجاهدي حزب الله والجيش السوري ومصرع ثلاثة جنود إسرائيليين . معظم الشهداء اللبنانيين كانوا ضحيّة "مجزرة قانا" التي قصف الإسرائيليون فيها، تحت إمرة بيريس نفسه، مركزاً للأمم المتّحدة، إلتجئ إليه مئات المدنيين .

لم يتحقّق أمن إسرائيل الذي كان بيريز يزعم البحث عنه من وراء العمليّة، ولم يكن إلّا أن أضاع الرجل فرصة أن يتحوّل إلى رابين آخر. وبعد أن تولّى الإرهابي بنيامين نتنياهو رئاسة الوزراء عام ١٩٩٦، عاد بيريز إلى الحكومة بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٢. في هذا الوقت إنطلقت إنتفاضة فلسطينية ثانية قمعتها بعنفٍ ما سُمّيت عمليّة "الدرع الواقي". في نهاية ٢٠٠٢ غادر بيريز الحكومة، لكنّه عاد بعد بضع سنوات إلى التحالف الحكومي ليدعم أرييل شارون في مساعيه لـ"فكّ الإرتباط مع غزّة"، الذي كان إنسحاباً أحاديّ الجانب إستفادت منه حركة حماس .

بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٤، أظهر بيريز في مكتبه الرئاسي الفخم إنفصاله عن الحاجات الإجتماعيّة للإسرائيليين العاديين، وقد تضاعفت مرّتين ميزانيّة الإنفاق على إقامة الرئيس الإسرائيلي في عهده (خُفّضت بعد ذلك في عهد الرئيس ريفيلن)، وكان تمويل المؤتمر الرئاسي المُترف الذي كان يقيمه كلّ عام يأتي من أصحاب مصانع بينهم من عليه دمغة وول ستريت، وتجّار سلاح لبعضهم إرتباطات مع أنظمة إستبداديّة مجرمة، وليست مصادفة أن يكون بيريز قد مُنح جائزة "روح دافوس" التي يقدّمها المنتدى الإقتصادي العالمي المُكرّس لتعزيز النيوليبراليّة الإقتصاديّة في العالم. كان الموضوع الثابت في حواراته، في سنواته الرئاسيّة وما وراء ذلك، أن السّلام قابل للتحقيق، وكان يقول، حتى في أسوأ الفترات، بأن محمود عباس هو "بكلّ تأكيد" شريك للسلام. كان ينتقد ضمناً رئيس الوزراء بينيامين نتنياهو، وآخرين، لعدم بذلهم الجهود الكافية للدفع بالتسوية إلى الأمام. وقد خاطب نتنياهو بقوله :"إذا كنت قد إتّخذت قراراً حول إقامة دولة فلسطينية، فعليك إذن أن تحرص على حدوث هذا القرار"، وتساءل بنبرة حزينة، "ما البديل إذن؟ أن تكون هناك دولة واحدة وأن تقرّر الغالبيّة طبيعتها؟ . "

بعد نهاية ولايته الرّئاسيّة، أصبح شمعون بيريز داعماً لأكبر البنوك الإسرائيليّة وهو بنك "هابوعاليم" وشركة الأدوية العالميّة العملاقة "تيفا". كذلك بقي منخرطاً في نشاطات "مركز بيريز للسّلام" الذي إستحدثه وأعطاه إسمه بكلّ تواضع! هذا المركز يمكنه أن يلخّص بجدارة إرث صاحبه. وقد أصبح اليوم مُنتدى لأغنياء مُترفين يقع مبناه في إحدى أفقر مناطق حي العجمي بيافا، وهو يطلّ على البحر واضعاً يافا وسكّانها الفلسطينيين خلفه، ويكفي تجاوز شارع غير معبّد تقريباً وراء قصر السّلام الباذخ هذا للوصول إلى تجمّعات سكنيّة مُتداعية.

يظهر المركز من ثلاث جهات على شكل مبنى بشع ومحصّن. الجهة الرابعة فقط (تلك المواجهة للبحر مع نظرة معبّرة نحو الغرب) تبيّن عن واجهة زجاجيّة جذّابة. ولعلّ هذا المبنى حقّاً هو الإستعارة المُثلى التي يمكن إستخدامها عند الحديث عن إرث شمعون بيريز.

مُنِيَ بيريز بخمسة هزائم إنتخابيّة أخرى، إنتهت كلّها بحصوله على منصب وزاري كجزء من حكومة إئتلافيّة. وفي عام ١٩٩٢، فشل في الفوز بقيادة حزب العمل الإسرائيلي، بعد هزيمته أمام رابين في المراحل المُبكرة من الإنتخابات الحزبيّة. وأثناء عمله كوزير للخارجيّة في حكومة رابين، بدأ مفاوضات سرّيّة مع الرئيس الفلسطيني السابق، ياسر عرفات، ومنظّمة التحرير الفلسطينية، التي إنتهت بعقد إتّفاقيّة أوسلو عام ١٩٩٣. ولأوّل مرّة، إعترفت القيادة الفلسطينية رسميّاً بوجود إسرائيل. وبعد عام من أوسلو، حصل بيريز على جائزة نوبل للسّلام، بالشراكة مع عرفات ورابين. ومن ثم تحوّل بيريز، الذي كان مُدافعاً عن تأسيس المستوطنات اليهوديّة في الضّفّة الغربيّة المحتلّة، إلى داعية مزعوم للسّلام.

كان بيريز رئيساً للحكومة إثر إغتيال إسحاق رابين عام ١٩٩٥، حين وقعت مجزرة قانا الأولى في جنوب لبنان عام ١٩٩٦ ضمن عمليّة "عناقيد الغضب" العدوانيّة التي إستشهد فيها ١٠٦ من المدنيين الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ إحتموا بمركز للأمم المتّحدة . لكنه لم يُكمل عاماً واحداً في منصبه بعد هزيمته أمام بنيامين نتنياهو، زعيم حزب الليكود.

في عام ٢٠٠٠، فشل بيريز بالفوز بمنصب رئيس البلاد، وهو منصب شرفي، أمام موشيه كاتساف. وفي عام ٢٠٠٢، بعد هزيمة إيهود باراك، الذي خلف بيريز في قيادة حزب العمل، أمام آريل شارون في إنتخابات رئاسة الوزراء، قاد بيريز حزب العمل الى التحالف مع الليكود، وفاز بمنصب وزير الخارجيّة، وتمكّن بالتالي من تكوين "شبكة حماية" للمجرم شارون في الكنيسيت، ليتمكّن من تنفيذ خطّة الإنسحاب من غزّة وأجزاء من الضّفّة الغربيّة، في مواجهة معارضة من حزب الليكود نفسه. شارك بيريز شارون حملة القمع والتنكيل والمذابح التي مورست ضد الفلسطينيين في إنتفاضة الأقصى، كما أنّه متورّط أيضاً في مذبحة مخيّم جنين ومجزرة حي الياسمينة في القصبة بمدينة نابلس القديمة وباقي عمليّات الإغتيال والقصف التدميري في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة.

في العام ٢٠٠٥، أطلق حملة رسميّة بعنوان "تطوير (تهويد) الجليل"، واعتبر حينها أنّ "المشروع هو أهمّ عمل صهيوني في الوقت الراهن". وفي العام نفسه، أعلن بيريز إستقالته من حزب العمل، ودعمه لشارون الذي أسّس حزباً جديداً باسم "كاديما". وعند إصابة هذا الأخير بغيبوبة، توقّع البعض أن يصبح بيريز قائداً للحزب الجديد، لكنّه واجه معارضة من أعضاء الليكود السابقين الذين شكّلوا أغلبية في الحزب. وفي شهر حزيران من العام نفسه، انتُخب رئيساً لإسرائيل لمدّة سبع سنوات، حتى إستقال عام ٢٠١٤، وكان آنذلك أكبر الرؤساء سنّاً في العالم.

لم يكن بيريز يمتلك شهرة عسكريّة تُقنع ناخبيه بأنّه سيكون حازماً وشديداً وقت الضرورة تضاهي خبرته وبراعته في التفاوض. وفي هذا السّياق علّق الكاتب البريطاني المشهور في صحيفة الإندبندنت، روبرت فيسك، على وصف العالم له بـ"صانع سلام" عندما سمع بموته، بقوله إن بيريز الذي خاض إنتخابات رئاسة الوزراء بعد إغتيال سلفه إسحق رابين قرّر في حينه أن يزيد من أوراق إعتماده العسكريّة قبل الإنتخابات،

بمهاجمة لبنان، واستغلّ ذريعة إطلاق المقاومة صواريخ كاتيوشا عبر الحدود اللبنانيّة، التي كانت ثأراً لقتل طفل لبناني صغير بواسطة قنبلة عنقوديّة خلّفتها دوريّة إسرائيليّة وراءها، لارتكاب تلك المجزرة. وقال: "كنت مشاركًا بقافلة مساعدات للأمم المتحدة تمركزت خارج القرية اللبنانية، عندما حلّقت القذائف الإسرائيليّة فوق رؤوسنا متوجّهة إلى مخيّم اللاجئين، وإستمرّ القصف ل ١٧ دقيقة ."

وعلّق الكاتب على نِفاق بيريز وقتها حين حاول التملّص من الجريمة بإدّعائه: "لم نكن نعرف أن هناك مئات المدنيين كانوا يتركّزون في ذاك المخيّم التّابع للأمم المتّحدة. فقد كان الأمر مفاجأة قاسية لنا". وقال: "إنّ هذه كانت كذبة وإن الإسرائيليين كانوا قد احتلوا قانا لسنوات بعد غزو ١٩٨٢ وكان لديهم فيلم فيديو للمخيّم، بل إنّهم كانوا يطلقون طائرة مسيّرة فوق المخيم أثناء تلك المذبحة". وأضاف أن هذه الحقيقة كان ينكرها الإسرائيليون، إلى أن أعطاه جندي بالأمم المتّحدة شريط فيديو للطائرة المسيّرة، وكثيراً ما قالت الأمم المتّحدة لإسرائيل إن المخيّم كان مليئاً باللاجئين. وقال فيسك "إن هذه كانت مساهمة بيريز في السّلام اللبناني، وهو خسر الإنتخابات وربّما لم يعد يفكّر في قانا، لكني لن أنساها". ويحكي الكاتب أنّه عندما وصل إلى بوّابات مخيّم الأمم المتّحدة كان الدم ينساب أنهاراً من الجثث وله رائحة، وكان هناك أرجل وأذرع وأطفال بلا رؤوس، ورؤوس شيوخ بلا أجساد. وكانت هناك جثّة لرجل مقسومة نصفين ومعلّقة على شجرة تحترق وما تبقّى منه كان يحترق". وختم فيسك مقاله مُستهجناً من النّفاق العالمي ومن تزوير الحقائق ومن قولِ من يقول: "يجب علينا الآن مُناداته بصانع السّلام". وختم: خلال الأيّام القليلة المُقبلة "سنُحصي عدد المرّات التي تُستخدَم فيها كلمة السّلام في نعيه، ثمّ لنحصي عدد المرّات التي ستظهر فيها كلمة قانا في المُقابل."

في وقائع التشييع:

أصدر كبار مسؤولي دولة الإحتلال الصهيوني، وفي مقدّمتهم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، بيانات أعربوا فيها عن أسفهم العميق لوفاة الرئيس السابق بيريز. وقال نتنياهو "لقد كرّس بيريز حياته لخدمة إستقلال الأمّة"، معتبراً أنّه "تطلّع نحو المستقبل وحصّن قوّة إسرائيل بشتّى الطّرق، والّتي بقي بعضها غير معروف حتّى اليوم". بينما نعى وزير الدّفاع أفيغدور ليبرمان سفّاح قانا بالقول "سأفتقد شمعون، كدعامةٍ أساسيّةٍ لهذا البلد، وكشخص". واعتبر رئيس المعارضة إسحق هرتسوغ أنّ بيريز "واحدٌ من أفضل قادة إسرائيل". إلى ذلك، أبرق الرّئيس الفلسطيني محمود عباس إلى عائلة بيريز، مُعرباً عن أسفه وحزنه لوفاته. واعتبر عبّاس أنّ بيريز "كان شريكاً في صُنع سلام الشّجعان مع الرئيس الراحل الشهيد ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين"، مُضيفاً أنّه "بذل جهوداً حثيثة للوصول إلى سلامٍ دائمٍ منذ إتّفاق أوسلو وحتّى آخر لحظة في حياته". وكان بيريز قد تعرّض في ١٣ أيلول الماضي لجلطة دماغيّة مصحوبة بنزيفٍ داخلي، نُقل على أثرها إلى قسم العناية الفائقة في مستشفى "تل هاشومير" بالقرب من تل أبيب، حيث تمّ وصله بآلة تنفّس وتخديره. وكان وضعه الصحي حرجاً في البداية، ثمّ استقر قبل أن يتدهور كثيراً الإثنين يوم وفاته.

دُفِن بيريز في القدس المحتلّة إلى جانب إسحق رابين، أحد أبرز مؤسّسي الكيان الإسرائيلي، بعد جنازةٍ شارك فيها حوالى مئة وفدٍ من ٧٠ دولةً، من بينهم الوفد الفلسطيني برئاسة محمود عبّاس ووزير الخارجيّة المصري سامح شكري ممثّلاً الحكومة المصريّة ونائب رئيس الوزراء الأردني جواد العناني، في حين بادر وزير خارجيّة البحرين خالد بن أحمد آل خليفة إلى تجاهل كل المشاعر العربيّة، والتعزية على طريقته بنشر تغريدة عبر موقع "تويتر"، قال فيها: "ارقُد بسلام أيّها الرئيس شمعون بيريس، رجل حرب ورجل سلام لا يزال صعب المنال في الشّرق الأوسط". وكان ملك الأردن عبد الله الثّاني قد أرسل إلى رئيس كيان العدو رؤوبين ريفلين برقيّة تعزية بالمقبور بيريز، إعتبر فيها أنّ "مساهماته باتّجاه تحقيق الأمن والسّلام في المنطقة هي اليوم أكثر أهميّة من أيّ وقتٍ مضى"، متمنيّاً "الرحمة له، والصبر والسّلوان لعائلته ولشعب الكيان الغاصب". وقبيل بدء المراسم، تصافح رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو والرّئيس الفلسطيني أبو مازن،

الذي قال: "تسرّني رؤيتك، مضى وقتٌ طويل"، فردّ عليه نتنياهو بالقول "نيابةً عن شعبنا، أقدّر هذا الشّيء بشدّة."

وبالرّغم من محادثات التسوية لمدّة تسعة أشهر في العام ٢٠١٣، إلا أنّ الرّجلين نادراً ما إلتقيا وجهاً لوجه. ومشاركة عبّاس جاءت بعد طلبٍ رسمي تقدّم به إلى سلطات الإحتلال للعبور إلى الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة.

تحوّلت الجنازة إلى حفل تأييد ودعم دوليّ لكيان العدوّ، بمشاركة الوفود العربيّة، يا للسخرية، الّتي إحتلّت الصّفوف الأماميّة. وحضر الجنازة كلٌّ من الرّئيس الأميركي باراك أوباما والفرنسي فرنسوا هولاند والألماني يواكيم غازك والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ومسؤولة السّياسة الخارجيّة في الإتّحاد الأوروبي فيديريكا موغيريني، والملك الإسباني فيليب السادس وولي العهد البريطاني الأمير تشارلز والرّئيس المكسيكي إنريكي بينا نييتو والرّئيس الأميركي السابق بيل كلينتون ورئيسي وزراء بريطانيا السّابقين ديفيد كاميرون وطوني بلير، ووزير الخارجيّة البريطاني بوريس جونسون، ونائب وزير الخارجيّة التّركي أحمد يلذز. إلى جانب شخصيّاتٍ من كيان العدوّ أبرزها نتنياهو وريفلين وغيرهما.

إعتلى عددٌ من الشّخصيّات المنصّة لإلقاء "كلمات الوداع"، ركّز معظمها على تمجيد "سفّاح قانا" وإبداء الدّعم والتّأييد للكيان الغاصب. وكانت لأوباما كلمة، ألقاها مُعتمراً القلنسوة اليهوديّة، تحدّث فيها عن تجربته الرّئاسيّة بوجود بيريز في خريف عمره. وشبّه أوباما بيريز بالزّعيم الأفريقي نيلسون مانديلا والملكة البريطانيّة إليزابيث، مضيفاً: "حتّى في وجه الهجمات الإرهابيّة، كان يصرّ على أنّه يجب أن يُنظَر إلى الفلسطينيين بصفتهم بشراً، بنفس القدر من الكرامة كاليهود، ويجب أن يحصلوا على المصير نفسه". وفي الوقت الّذي إعتبر فيه أوباما أنّ حضور عبّاس الجنازة "مبادرة وتذكير بأنّ العمل من أجل السلام لم ينتهِ"، تجاهل نتنياهو، في كلمته، حضور الرّئيس الفلسطيني. وممّا قاله أوباما : "كان شمعون بيريز جنديّاً لإسرائيل، للدولة اليهوديّة، للعدل، للسّلام، وللإيمان بأن بإمكاننا أن نكون صادقين مع أحسن جانب فينا حتى نهاية وقتنا على الأرض، وفي الميراث الذي نتركه للآخرين. على نعمة صداقته ومثال قيادته، "توداه رابا" (قالها بالعبريّة ومعناها شكرا جزيلا)، شمعون". أمّا نتنياهو فقال: "ليس سرّاً أننّا كنّا خصوماً سياسيّين، لكن على مرّ السّنين أصبحنا أصدقاء جيّدين"، مضيفاً: "مع كلّ لقاء، تعمّقت صداقتُنا."

كان شمعون بيريز آخر أبناء "الجيل المؤسِّس لإسرائيل" وقد كُرّم عالميّاً، كما ذكرنا، في إطار النّفاق العالمي على أنّه "رجل سلام" رؤيوي!! لكنّ إرثه، كما يعلم الجميع، يحمل في طيّاته جوانب شائنة وأكثر تعقيداً بكثير، ومع ذلك حفّز رحيله عن عمر ٩٣ عاماً، على كتابة الكثير من كلمات النعي والمديح المُلفّقة والمُنمّقة حول العالم. والواقع أنّه كان آخر الأعضاء المؤسِّسين (أولئك الرجال والنساء الذين إستوطنوا فلسطين لأسباب أيديولوجيّة أيّام حكم الإنتداب البريطاني في فلسطين وكرّسوا حياتهم لإنشاء ما يُسمّى دولة إسرائيل). لقد شكّلت جنازة بيريز فرصة لإظهار الكثير من جوانب وتعقيدات السّياسة الدوليّة عموماً والصراع العربي مع العدوّ الإسرائيلي خصوصاً.

كما أشار عدد من كبار المُعلّقين في كيان العدوّ إلى أن الجنازة والحضور الدولي والإقليمي المُميّز يشهدان على المُفارقة الكبيرة في واقع الكيان. فالصورة العامّة لهذه المُشاركة لم تنبع من تقدير للكيان العبري بقدر ما نبعت من إعتقاد شائع، يراه الكثيرون مبنيّاً على أوهام وتخيّل أصحابها بأن هذا الرجل الحرباء المُتلوّن كان "رجل سلام" !!. وتبدو المفارقة، بأشدّ صورها وضوحاً عند مقارنة هذا الإعتقاد بالقناعة الرّاسخة لدى الكثيرين بأن رئيس حكومة العدوّ الحالي بنيامين نتنياهو نقيض لهذه الصورة. ومهما يكن من أمر، فإن للمفارقة وجهها العربي والفلسطيني. فقد أشارت وسائل إعلام العدوّ إلى أنّ أعضاء الكنيست العرب، خصوصاً من القائمة المشتركة، لم يروا في بيريز مطلقاً ما توهّم رؤيته العالم وبعض العرب، وقاطع أغلب هؤلاء الأعضاء الواعين جنازة بيريز مُعلنين عن عدم قناعتهم بأنّه كان "رجل سلام."

رئيس القائمة العربيّة المشتركة في الكنيست الإسرائيلي "أيمن عودة"، كتب على حسابه في موقع "تويتر": "ذكرى بيريز لدى الجمهور العربي تختلف عن الرواية التي تُشاع عنه في الأيّام الأخيرة. ففي صالح بيريز في التسعينيات تُوجد نقطتان إيجابيّتان، هما السّير إلى السّلام في ظلّ بناء شراكة مع مندوبي الجمهور العربي. ولكن في المقابل، تُوجد لدينا مُعارضة حادّة لأمن الإحتلال وبناء المستعمرات". وبعدها كتب عودة: "أنا لست شريكاً في كل هذا الإحتفال. فلا يُمكنني أن أغفر عن العام ١٩٤٩، الذي أوقع مصيبة على شعبي". وعبّر عودة بذلك عن مشاعر أغلبيّة فلسطينيي الـ ٤٨ في كيان العدو .

غير أنّ السلطة الفلسطينيّة كانت لها حسابات أخرى، فقد وصل وفد فلسطيني رفيع المستوى ضمّ رئيس السلطة عباس وعدد من القادة التّابعين له. ورافق أبو مازن عضو اللجنة التنفيذيّة لمنظّمة "التحرير الفلسطينية" مسؤول ملفّ المفاوضات مع العدوّ الدكتور صائب عريقات، ومسؤول الملفّ الإسرائيلي في السلطة محمد المدني ومسؤول التنسيق عضو اللجنة المركزيّة لحركة "فتح" حسين الشيخ. ولاحظت مصادر إسرائيليّة أن عباس كان الزعيم العربي الأبرز الذي حضر جنازة بيريز التي حضرتها وفود من دول عربيّة بينها مصر والأردن والمغرب. وقد أثارت مُشاركة الوفود العربيّة في جنازة الإرهابي المقبور إنتقادات حادّة في أوساط عربيّة مُخالفة خصوصاً على وسائل التواصل الإجتماعي. وزادت هذه الإنتقادات بعدما ظهر أن مشاركة أبو مازن ومكان جلوسه في حفل التأبين كان موضع خلاف وصراع داخل الكيان الإسرائيلي نفسه .

لقد ترأست اللجنة المنظّمة لمراسم الجنازة، والتي ضمّت ممثّلين عن وزارتي الثقافة والخارجيّة، الوزيرة الليكوديّة المتطرّفة ميري ريغف. وكان خلافاً قد دبّ في البداية حول موقع جلوس الرئيس عباس في الصفّ الأمامي للمُشيّعين، وأصرّت ريغف على أن يجلس عباس في طرف الصّفّ، لكن عائلة بيريز عارضت ذلك، وقالت إن عباس ضيفها وهي تُصرّ على أن يجلس في منتصف الصّفّ الأمامي. وفي النهاية، تمّ حلّ هذا الخلاف كما تُريد عائلة بيريز وجلس أبو مازن بجوار وزير الخارجيّة المصري. غير أن عنصر الإثارة الأكبر في الجنازة، جاء عندما إلتقى أبو مازن برئيس حكومة الكيان الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وتصافحا. واعتبر كثيرون أنّ هذا آخر إسهام سياسي هامّ لبيريز، إذ معروف أن رؤساء دول أوروبيّة عدّة، فضلاً عن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي والرئيس الروسي فلاديمير بوتين حاولوا ترتيب مثل هذه المُصافحة فعجزوا، وها هو موت بيريز يُرتّب هذه المصافحة ويكسر الجليد بين الرجلين.

نتنياهو كان هو من أقرّ طلب الرئيس عباس المُشاركة في جنازة الراحل، ومعروف أنّ نتنياهو ووزير خارجيّته أفيغدور ليبرمان، والكثير من المتحدّثين باسمهما، يُعلنون صبح مساء أن أبو مازن "غير ذي صلة" وأنّه "ليس شريكاً". وقد استغلّت جهات أوروبيّة ودوليّة وصولها إلى الكيان الإسرائيلي للمشاركة في جنازة بيريز، لحثّ نتنياهو على التقدّم في العمليّة السلميّة. وعدا وزيرة خارجية الإتّحاد الأوروبي فدريكا موغريني، تباحث نتنياهو بهذا الشأن أيضاً مع الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند الذي تعمل حكومته من أجل ترتيب مؤتمر دولي للسّلام في باريس قبل نهاية هذا العام. هولاند وعباس بحثا أيضاً على هامش الجنازة، التحضيرات لعقد المؤتمر الدولي للسّلام. وقال كبير المُفاوضين الفلسطينيين صائب عريقات: "إتّفق هولاند وعباس على تسريع التحضيرات لعقد المؤتمر الدولي للسّلام، المُقرّر عقده في نهاية هذا العام"، مضيفاً أن هولاند أبلغ عباس أن "مبعوثاً فرنسيّاً سيزور فلسطين في شهر تشرين الأول في إطار مواصلة الجهود الفرنسيّة لعقد المؤتمر."

أبو مازن ومشاركة الخزي:

الجدير بالذكر أن مُشاركة أبو مازن في جنازة بيريز قد أثارت إنتقادات حادّة في الأوساط الفلسطينيّة والعربيّة، لكن برزت إنتقادات إسرائيليّة لها أيضاً. فقد حمل وزير التعليم، زعيم "البيت اليهودي" والعنصري المتطرّف نفتالي بينيت على نتنياهو لأنه صافح عباس وتساءل: "لماذا نهرع لمصافحة أبو مازن؟". وكتب

بينيت على صفحته على موقع "فايسبوك": "لم أفلح في فهم سبب وقوف الإسرائيليين بالدور لمصافحة أبو مازن، الذي يُشجّع على قتل الإسرائيليين ويدفع مُخصّصات لقتلهم."

إن جملة المُبرّرات التي قُدّمت دفاعاً عن مشاركة رئيس السلطة الفلسطينيّة محمود عباس في جنازة الرئيس الإسرائيلي الأسبق شمعون بيريز، وهي قليلة جداً، مقابل الإنتقاد الواسع الصائب لها، هناك رأي يستحقّ التوقّف عنده. يقول أصحاب هذا الرأي إن مشاركة عباس في الجنازة باتت واجبة بعدما تحوّلت الجنازة إلى حدث سياسي ضخم بإعلان عدد كبير من الرؤساء والمسؤولين على إمتداد العالم عزمهم حضورها، لأن غياب عباس سيجعله يخسر، برغم أن أي مكاسب لن تترتب على حضوره. إن نقطة الضعف في هذا الرأي هي أن عباس لا يريد الإعتراف بأن نهج المفاوضات الثنائيّة، والمراهنة على الولايات المتحدة والمجتمع الدولي من دون إمساك أوراق القوّة والقدرة على مواجهة سياسة التوحّش الإسرائيليّة، وما يترتّب عليها من إحتلال وإستيطان وعدوان وعنصريّة وحصار، قد أدّيا إلى خسارة الفلسطينيين كل شيء تقريباً، حتى لم يعد هناك ما يخشون خسارته. كما أن سياسة إبداء حسن النيّات، وإثبات الجدارة، والتعامل مع إسرائيل كجار وكشريك "سلام"، لم تؤدِّ إلى أيّ شيء سوى إلى فتح شهيّة العدو الصهيوني للحصول على المزيد من التنازلات والمكاسب. ويعكس هذا النهج المستمرّ الذي أدّى إلى المشاركة في الجنازة إستمرار السّياسة الرسميّة المُتّبعة فلسطينيّاً وعربيّاً، التي تظهر من خلال إهتمام الحكّام بالدرجة الأساس بردود الأفعال الدوليّة حيال قراراتهم، في مقابل إهمالهم المواقف وردود الفعل التي تُبديها شعوبهم.

إن عدم المشاركة كان سيبعث برسالة قويّة مفادها أن القيادة الفلسطينيّة جادّة في التخلّي عن النهج الفاشل والعبثي الذي سارت عليه منذ "مؤتمر مدريد"، مروراً بـ "أوسلو"، وصولاً إلى سياسة الإنتظار الحاليّة. علماً أن المعارضة الواسعة للمشاركة شكّلت بحدِّ ذاتها رسالة مُدويّة، مفادها أن الشعب الفلسطيني برغم واقعه السيّئ متمسّك بكرامته وبحقوقه ومقاومته، وأنّه مصمّم على الدفاع عنها، وهذا مصدر قلق لإسرائيل برغم نجاحاتها الباهرة.

لا حاجة لترداد ما قيل خلال الأيّام الماضية لإثبات أن بيريز لم يكن رجل سلام على الإطلاق، فهذا مثبت بعشرات الدّلائل التي تؤكّد أن يديه ملتطختان بالدماء، وأنه رجل حرب، وأن ما يميّزه عن اليمين واليمين المتطرف أنّه "يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ كما يروغ الثعلب"، ويفعل ما يعلن عنه المتطرّفون في بياناتهم أو أسوأ، أي أنّه يدسّ السّمّ في الدّسم، وهو لذلك أخطر من غيره.

إن ما سرّبته الصحافة الإسرائيليّة بعد وفاة بيريز يثبت حقيقة براعته في تمرير سياسات إسرائيل العدوانيّة بعد تغليفها بشعارات وألفاظ جذابة، فالتقارير أفادت بعرضه أو توصّله إلى إتّفاق مع الرئيس عباس (أفشله نتنياهو) على إقامة دولة فلسطينيّة مؤقّتة، تحتفظ فيها إسرائيل بالكتل الإستيطانيّة الكبيرة، فيما تبقى بقيّة المستوطنات ضمن نطاق الدولة الفلسطينيّة مع بقاء الأخيرة تحت السيادة الإسرائيليّة، على أن تحتفظ إسرائيل بحق الدخول إليها أسوةً ببقيّة "الأراضي" الإسرائيليّة.

إن مثل هذه الأفكار التي تخدم مصلحة إسرائيل في مقابل ظهور بيريز بمظهر الباحث عن سلام، تعكس شخصيّته المناورة التي تولي أهميّة كبرى للحفاظ على صورة ظاهريّة جيّدة لإسرائيل أمام العالم. فهو يعرض الفتات التي يرفضها الشعب الفلسطيني من الأساس ، في مقابل حفاظه على جوهر المشروع الإسرائيلي الإستيطاني، القائم على فكرة الإبقاء على تفوّق الدولة العبريّة ويهوديّتها الخالية قدر الإمكان من "الأغيار". وهذا الأمر طبيعي، فبيريس صاحب نظريّة إقامة "شرق أوسط جديد"، يجمع "العبقريّة اليهوديّة" برأس المال واليد العاملة العربيّة. وهو دافع دوماً عن "التسوية" الإقليميّة، وعما يُسمّى بـ "الخيار الأردني". وهو أيضاً صاحب خطّة "التقاسم الوظيفي"، وما يجري حاليّاً تجسيد لها بشكلٍ أو بآخر .

وما يتمّ تداوله خلال الفترة الأخيرة من حلول إقليميّة تجمع إسرائيل بالدول العربيّة على حساب الفلسطينيين وقضيّتهم، يعود أساساً إلى جهود بيريز، صاحب براءة إختراعها .

أخيراً لا بدّ من الإشارة إلى أنّه لا يمكن تبرير مشاركة أبو مازن في جنازة بيريز من خلال تشبيهها بمشاركة وفد فلسطيني رفيع المستوى في جنازة المقبور إسحق رابين، برغم رفض تلك المشاركة حينها من جانب قطاع فلسطيني عريض، وعلماً أن الرئيس الراحل ياسر عرفات لم يحضر آنذاك شخصيّاً. وبالتالي فالمشاركة الأخيرة هي أسوأ بكثير، لأن رابين إغتيل على يدي يهوديّ متطرّف بعد إتّهامه بالتفريط بـ "أرض إسرائيل". وفي ذلك الحين كانت "التسوية" في ذروة مسارها، وكان وهم الوصول إلى إتّفاق نهائي بانقضاء الفترة الإنتقاليّة لا يزال مسيطراً على النخبة الفلسطينية الحاكمة. أما الآن، فحتى الرئيس الفلسطيني، صاحب خيار المفاوضات، أصبح مدركاً عدم إمكانيّة بقاء الوضع على ما هو عليه. وقد هدّد مراراً بالخروج على هذا الواقع بالإستقالة ونسف السلطة، مع أنّه لم ينفّذ تهديده برغم أن هدر الوقت يكلّف دماً وضياع حقوق.

أما أسوأ ردّ فعل على المشاركة في جنازة بيريس فقد تمثّل بتوظيف الدين الحنيف لخدمة أغراض سياسيّة دنيئة، كما ظهر من خلال التصريح المشبوه الذي أدلى به سيّئ الذّكر والسّمعة، محمود الهباش بأن النبي محمداً (ص) "لو كان حيّاً لشارك في الجنازة"، في مقابل تصريح محمود الزهار الذي كفّر فيه الرئيس. إن توظيف المشاركة في الجنازة في سياق المزايدات والصراع على القيادة وتمثيل الشعب الفلسطيني، في ظلّ تعمّق الإنقسام عموديّاً وأفقيّاً، لا يساعد على حماية القدس والقضيّة الأساس ولا خيار المقاومة كما يدّعي بعض البُلهاء، بل هو أقصر طريق لوقوع الفتنة .

وفي الختام، إنّ المشاركة في الجنازة كانت خطأً فادحاً، والأهم من ذلك هو دلالاتها السلبيّة، وما تعكسه من إستمرار الرّهان على إستئناف إستعطاء ما يُسمّى "عمليّة السّلام" التي ماتت منذ زمن - وإكرام الميّت دفنه - وهذا رهان يشوّش على الفلسطينيين والعرب إعتمادهم خيارات بديلة لتلك التي أثبتت عجزها عن تحقيق أي نتائج عمليّة.